القدوة وأثرها في تربية الطفل

إن الأمومة إحساس فطري مبكر يصاحب الطفلة الصغيرة منذ ٣ سنوات تقريباً ، ويتمثل في علاقتها بعروستها التي تعاملها على أنها ابنتها ، ويكبر معها هذا الإحساس ويلازمها وكأن قدرها مخطط له منذ البداية على أن تكون أما ، ولكن ماذا عن الرجل؟ متى يتولد لديه الإحساس بالأبوة؟ وهل يظهر هذا الإحساس في سن معينة؟ أم يظهر معه في سن مبكرة ولكنه مختبئ في اللاشعور؟

يرى علماء الصحة النفسية أن الرغبة في إنجاب طفل يعيش على ذاكرة تتولد لدى الرجل في سن مبكرة أيضاً ، فنجده وهو في سن المراهقة التي بدأ يدرك فيها قيمة الأشياء ويحتفظ ببعض الكتب والهدايا الثمينة لتؤول لابنه من بعده ، ويمكن أن نقول إن هذا

الإحساس يكون ملازماً لطبيعته وشعوره وهو إحساس الرجل الذي يجري في الحياة وهو يدرك أن المقدر له أن يموت يوماً ، لذلك فهو يرى في الطفل الذي يتمنى إنجابه يوماً امتداداً له ووسيلة لمحاربة مخاوفه الشخصية من فكرة الموت.

والرجل يتمنى جداً أن يكون أبا ولكنه لا يعترف بهذه الحقيقة حتى لنفسه، ويرجع ذلك إلى أن هذا القرار ليس في يده وحده ، وبالنسبة لرجال كثيرين فإن الالتقاء بامرأة معينة هو الذي يثير في أنفسهم رغبة الأبوة المدفونة في اللاشعور لأن في هذه اللحظة تبدأ هذه الرغبة في التجسم. وأول شيء يتذكره معظم الآباء عن أطفالهم هو لحظات الولادة نفسها ، ففي هذه اللحظات تلتقي الرغبة سواء المعبر عنها أو اللاشعورية بالطفل بشحمه ولحمه ليدرك الرجل لحظتها أنه أصبح حقيقة أبا

لهذا المولود ويشعر لحظتها أنه يولد من جديد وتكون عملية الميلاد هذه عاملاً موجباً ومهماً جداً للرجل لأنه يشعر أنه هو السبب في وجود هذا الطفل بين يديه ، ولكن يحتاج الأب إلى أن يدخل في علاقة مبكرة مع طفله لكي يشعر أنه أب ، فالأبوة تعني المصاحبة والارتباط العاطفي والمشاركة وتتأصل هذه العلاقة أكثر عن طريق الاشتراك في رعاية المولود والعناية به.

تغير المفهوم:

أما عن مفهوم الأبوة فتلاحظ أنه قد تغير اليوم عن الماضي ، ففي الماضي كان مفهوم الأبوة يعني القوة والسلطة والهيمنة والسند والملاذ. ، أما اليوم فإنه يعني الوجود والاقتراب من الأطفال والإحساس بالمسؤولية تجاههم من حيث تعليمهم كل شيء عن الحياة وإصرار معظم الآباء على عدم ترك مهمة رعاية الأطفال للأم وحدها ، فالأب يشعر أنه مسؤول عن إعداد الطفل كي

يكون رجل المستقبل ويجد متعة كبيرة في الإجابة عن الأسئلة الكثير التي يبدأ الطفل في طرحها في سن مبكرة وعلى كل ما يصادفهم من أشياء ويجهلونها ، فيشعر الأب هنا أنه المرشد النفسي والشارح لكل المعلومات.

ولكن الخطورة تكمن في أن يميل الأب إلى محاولة صياغة طفله على صورته أو على صورة مثالية كان يتمناها لنفسه ، لذلك يجب مقاومة هذا الإحساس وترك الطفل يعبر عن شخصيته ويعيش على طبيعته.

وهنا تكمن الصعوبة ، إذ كيف يمكن للأب أن ينقل تجاربه إلى الطفل وفي الوقت نفسه يتركه يتحمل مسؤولياته ويواجه مشاكل الحياة بحرية لكي تكتمل جوانب شخصيته الخاصة.

إنها المعادلة الصعبة التي يواجهها الآباء اليوم ، وينصح الأب بأن يصارح نفسه بصعوبة صياغة

شخصية ابنه على صورته ، فقد تغير مفهوم الأبوة ولم يعد مجرد غرس بذرة واعتراف بالطفل ومنحه اسما يستمر به في تاريخ الأسرة ، ولكن الأبوة اليوم تعني الوجود بجوار الابن وتعليمه أساسيات الحياة وتعريفه الصواب من الخطأ مع تركه يحتفظ بشخصيته وسماته التي تميزه عن غيره بمن فيهم الأب.

نعم لقد تغير مفهوم الأبوة واقترب كثيراً من مفهوم الأمومة بعد أن أصبح الاثنان مشتركين في متابعة تقدم أطفالهما في كل مجالات الحياة ، وقد يقلق بعض الآباء من هذا الاقتراب حتى لا يفقد الأب عنصر السلطة والنفوذ ، لذلك فهو كثيرا ما يلجأ للتمسك برأي معين ليشعر أولاده أن الكلمة ما زالت له ، ولكن مهما يحدث من تغيير أو تقارب ، فالأب سيظل هو الأب يهرع إليه الابن عند الشدة ، والأم ستظل هي الأم

مصدر الحنان والصدر الذي يرتاح عليه الابن مهما تقدم في السن.

على الأبوين غرس القيم المرغوبة في سن مبكرة:

وينبغي على الأبوين أن يعملا على غرس القيم المرغوبة في أبنائهم في هذه المرحلة المبكرة وتبصرهم بخطورة السلوك العدواني سواء في محيط الأسرة أو في المجتمع وخاصة أن السلوك العدواني أصبح لدى فئة من الشباب ظاهرة سلوكية مؤداه حتما الشعور بالإحباط والإحساس بفقد الثقة بالنفس وبالآخرين.

وإذا كان السلوك العدواني ظاهرة سلوكية تلاحق الإيقاع السريع الذي نعيش واقعه وظروفه ومتغيراته المتلاحقة بصفة عامة لدى جميع المراحل العمرية إلا أن هذه الظاهرة أكثر انتشاراً لدى الشباب بصفة خاصة حيث إن المرحلة العمرية وما ترتبط به من خصائص ارتقائية تشكل في حد ذاتها سياقا قد يبشر صدوره

الاستجابة العدوانية حول تلك الظاهرة.

قابلية الطفل لنقل أي سلوك يراه:

يرى خبراء التربية وعلم الـنفس أن الطفـل يولـد وعقله أشبه بالصفحة البيضاء وعليـه فـإن مـا يختزنـه في هذه الصفحة البيضاء يـأتي بالدرجـة الأولى مـن والديـه فهما القدوة والمثل الأعلى بالنسبة له ، وفي الطفولة المبكرة يحلو للأطفال محاكاة الأم والأب بل إنها قد تصل إلى حد تقمص شخصية الاثنين معا.

من هنا ينبغي للوالـدين الحـرص الشـديد في هـذا المجتمع الصغير وهو الأسرة بالفعل والقـول. ويلاحـظ أن الصغار في وقت الغضب يتفوهون بألفاظ غير لائقـة نعجب منها ولكنها في حقيقة الأمر من مخزون الطفـل في عقله الباطن وقد تلقاها مبكراً من أحد الوالـدين أو مـن الإخوة الكبار والمحيطين به ، ويلاحظ أيضاً أن الزيجات الفاشلة حيث يكون البيت متوتراً وقلقـاً فـإن هـذا كلـه

يدخل في مخزون الصغار ثم يخرج من العقل الباطن في شكل عدواني سواء في المنزل أو في الشارع أو المدرسة أو في الحدائق العامة في ظواهر الشغب أو تقطيع الزهور أو الإتلاف. ويتضح من ذلك كله أن الكبار هم الذين يجنون على الصغار.

وقد أجريت أبحاث علمية كثيرة حيث نقل أطفال من أسر هادئة إلى بيئات بها عنف فانقلب هؤلاء الأطفال إلى أشرار مدمرين وعلى الطرف الآخر نقل أطفال من بيئات مشاغبة إلى بيئة سوية وبها رعاية فنشؤوا أسويا. يعني ذلك أن للبيئة أثر كبير في تشكيل سلوك الفرد بعد أن كان العلماء قديماً يلقون بالمسؤولية على عامل الوراثة فقط ، لهذا يتضح أن الطفل بقدر ما هو ابن لأبيه فهو أيضاً ابن لبيئته وليس أدل على هذا من مشاهدة الأبناء لأفلام العنف حيث تساهم في مكوناتهم

الشخصية.

اختيار الألفاظ المناسبة:

ويرى خبراء علم الـنفس أن العـلاج هـو أن يبـدأ الوالدان بالتحلي باللفظ الجميل والكلمة الطيبة وهـدوء الأعصاب ، ومن ثم يتحدد مفهوم السلوك العدواني بأن أي سلوك يصدره الفرد بهـدف إلحـاق الأذى أو الضرـر بفرد آخر والعلاج المبكر لمثل هذه الحالات يعدل الكثـير من هذه السلوكيات ، وأهم عـلاج للقضـاء عـلى وطـأة هذه الميول العدوانيـة هـو تعلـيم الأبنـاء قواعـد الـدين بحيث ينشأ الصغير وهو مدرك ماله وما عليه.

إعداد مدرس الحضانة إعداداً تـربوياً:

وينبغي الاهتمام بمدارس الحضانة بمعنى أن يقوم بالتدريس في الحضانات كوادر مؤهلـة نفسـيا وعلميـا ، كذلك ينبغي أن تحتوي مناهج التدريس على ورش عمل لتعويده على التعاون والتمسك بـروح الفريـق والأخـذ

والعطاء بهذا الأسلوب والمنهج التربوي يمكن تخريج أجيال سوية تتمتع بالصحة النفسية والجسدية الصحيحة.

إن أكثر المراحل الارتقائية التي يصبح أفرادها أكثر تهيؤاً للعدوان من غيرهم هي مرحلة الشباب ، ذلك أن حالتهم النفسية تجعلهم أكثر انفعالاً وأقل قدرة على إخفاء مظاهر غضبهم حيث أجريت دراسة على شباب الجامعة لمعرفة أبعاد هذا السلوك لدى هذه الفئة وذلك لمحاولة علاجها حتى يخرج إلى المجتمع جيل من الشباب لديه شعور بالقيمة والقدرة. ولقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن هذه الظاهرة لها مردودها الاجتماعي والنفسي ، فهي تؤثر في الشباب وعلاقاته وتحد من قدراته وربما تؤدي إلى الظواهر الإجرامية مما يهدد أمن واستقرار المجتمعات ويعوقها عن تحقيق

التنمية الاجتماعية بل وتعتبر من عوامل هدم المجتمعات.

أهداف السلوك العدواني:

لقد تبين أن هناك تعدداً في أبعاد السلوك العدواني بل وتداخلا بينها وإن كانت جميعها تهدف إلى هدف واحد أساسي هو إلحاق الأذى بالفرد المجني عليه سواء كان وسيلة لتحقيق هدف معين أو هدف في حد ذاته ثم تأتي أهمية البحث فيما يتعلق بظاهرة العدوان من حيث إنها ظاهرة ازداد انتشارها في هذا العصر، لما كان السلوك العدواني يعد من العوامل الهامة التي تعوق الكفاءة الذاتية (التوافق الشخصي) والكفاءة الموضوعية (الإنتاجية) للفرد ، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الاهتمام به كظاهرة خطيرة تستحق الدراسة إن كنا نريد أن يحقق الإنسان توافقه مع نفسه ومع الآخرين وحتى لا ينجرف إلى تيار الإدمان ويصعب حل

مشكلاته ذلك لأن الشباب هم ثروة المجتمعات ودليل تقدمها ، وبذلك كان علينا أن نتعرض إلى أخطر مشكلة واجهت الأسر والشباب هذه الأيام وكادت أن تدمرهم ولكي نتغلب على هذه المشكلة على المجتمع ككل مواجهتها والتصدي لها بكل الوسائل بدءاً بالأسرة والمدرسة والجامعة متعاونين مع وسائل الإعلام بكل صورها حتى نستطيع القضاء على هذه المشكلة والتغلب عليها ، فالإدمان هو الاعتماد على عقار معين بعد تناوله عدة مرات حتى يحدث اعتماد نفسي- وجسدي على المخدر أو العقار الذي يتناوله الإنسان والاعتماد النفسي- هو التعود ويعني به العادة مما ينتج عنه الرغبة في أخذ العقار مرة أخرى والشعور بالقلق عندما لا يجده ويبحث عنه ويرغب في تناوله بينما الاعتماد الجسدي يعني أن المدمن يعاني من أمراض الانسحاب بعد

التوقف عن تناول العقار بعد ساعات وأعراض الانسحاب هذه تعني أن هناك اعتماداً عضوياً وجسدياً على العقار فلا يستطيع الجسم والجهاز العصبي أن يعمل بصورة طيبة بعد الانقطاع عن المخدر لأنه قد أثر في الجهاز العصبي الذي أصبح يحتاج إلى المخدر حتى يعمل بطريقة منتظمة ، وكذلك هناك ظاهرة أخرى تدل على أن الإنسان أصبح يعتمد على المخدر جسدياً وهي ظاهرة التحمل ونعني بها احتياج الإنسان إلى زيادة الجرعة المطلوبة من المخدر حتى يحصل الإنسان على نفس التأثير وهذا السبب هو الذي يدفع المدمن إلى زيادة الجرعة من المخدر كل فترة حتى يصل إلى نفس الأحاسيس التي كان يشعر بها على جرعات أقل.

الوقاية خير من العلاج:

إذا كانت القاعدة الذهبية في عالم الصحة أن الوقاية خير من العلاج فإن هذه القاعدة هي خير مثال

في مشكلة الإدمان بل لعلها القاعدة الوحيدة وذلك لأن الهدف هو منع شبابنا من الوقوع في دائرة الإدمان بدلاً من الانتظار حتى يصاب بعض شبابنا بهذا الداء اللعين ثم نبذل الجهد والوقت والمال في محاولات علاج غير مضمونة النتائج، ولهذا فإن الوقاية وحماية شبابنا هي الهدف الرئيسي الذي يجب أن نوجه إليه كل الجهود، والتوعية هي أساس الوقاية، وذلك بنشر كيفية اكتشاف أو الشك في أن أحد أفراد الأسرة قد بدأ ينحرف اتجاه الإدمان، فلكل عقار تأثيراته المختلفة ومظاهره على المدمن، ولكن هناك تغيرات في السلوك والتصرفات تكاد تكون مشتركة بين المدمنين وهي ميل المدمن للنوم باستمرار وقد ينام في الفصل وأثناء تناول الطعام ولا يستطيع فتح عينيه بشكل طبيعي. وأيضاً ميل العينين إلى الاحمرار، لذلك يلجأ لارتداء النظارة السوداء حتى في

الليل وأيضاً العصبية الشديدة وسهولة الاستثارة والعدوانية تجاه الآخرين والتلفظ بألفاظ وكلمات نابية ومصطلحات لم يكن متعوداً عليها وعلى التلفظ بها والميل إلى العزلة والإنفراد بنفسه داخل حجرته أو داخل حمام المنزل لفترات طويلة، كما أنه يفقد شهيته للطعام مما يؤدي إلى انخفاض وزنه بصورة ملحوظة، ويبدو عليه الهزال والشحوب كما أنه يبدأ في إهمال دراسته ويتدهور مستواه الدراسي ويبدو عليه عدم التركيز في العمل مع إهمال نظافته الشخصية ومظهره وأيضاً تزايد متطلباته المادية بحجج مختلفة مثل شراء كتب ومذكرات أو دروس خصوصية، كما تبدأ بعض الأشياء الثمينة أو النقود أو أشياء ذهبية في الاختفاء من المنزل.

إقامة صداقات مع الأبناء:

وفي النهاية ينبغي على كل أب وأم أن يهتموا بحماية الأبناء باحتوائهم واحتواء مشاعرهم وبناء جسر-

من الصداقة والحب معهم من الطفولة حتى يبوحوا لنا بما في داخلهم ويشكلوا لنا مما يحيرهم ويتعرضون له من تقلبات الزمن والناس نتيجة لتغيرات العصر ـ الذي أصبحت الماديات فيه تسيطر على عقول البشر، فبالحب والصداقة نحمى أطفالنا وشبابنا من كل سوء من أحقاد البشر وسيطرة المادة ، فبالحب لا يوجد مستحيل فالحب يصنع المعجزات ويفضل تنمية دافع الحب وعاطفة الأبوة والأمومة في سن مبكرة حتى نحصن الأبناء ضد مشاكل الشباب أمل المستقبل وكل الحاضر.

فما أحوجنا إلى جيل قوي قادر على مواجهة التحديات التي تواجه أمة الإسلام.

□□□